

صلُّوا من أجل رئيس الكهنة

حديثٌ خامس عن القدّاس الإلهي

المتروبوليت أثناسيوس (ليماسول)

تحدّثنا في المرّة الأخيرة عن الطلبة التي يتلوها الشماس من أجل الكنيسة المقدّسة والذين يدخلون إليها بإيمانٍ وورعٍ وخوفٍ الله. واليوم سنبحث في الطلبة التالية:

"من أجل رئيس كهنتنا (فلان) والكهنة المكرّمين والشمامسة الخدّام في المسيح، وجميع الإكليروس والشعب، إلى الربّ نطلب".

لماذا من المهمّ جدًّا، بل من الضروريّ والواجب، أن نصلّي من أجل رئيس الكهنة في كلّ قدّاسٍ إلهيٍّ؟
أولًا، الأمر مهمّ لأسبابٍ تتعلّق بالقوانين المقدّسة. فإنّ رفع اسم رئيس الكهنة يشهد على أنّ الأسرار التي تُقام في الكنيسة هي أسرارٌ مقدّسةٌ حقيقية. نعرف أنّ أول من احتفل بالإفخارستيا الإلهية هو ربُّنا يسوع المسيح. احتفل بأول إفخارستيا في العلية في أثناء العشاء السريّ، وأعطانا الوصيّة: "اصنعوا هذا لذكري" (لوقا 22: 19). ومنذ ذلك الحين، همّ ذكرٍ تصنعه الكنيسة للمسيح هو الإفخارستيا المقدّسة، والتي يشترك المشاركون فيها في سرّ الخلاص والحياة الأبدية.

خلف الرسل القديسون المسيح، وكانوا أوّل من أقام سرّ الإفخارستيا، كما نقرأ في سفر أعمال الرسل (راجع أعمال 2: 42). كانوا يجمعون المؤمنين، ويعظونهم حول الإيمان، ويصلّون، ويحتفلون بالإفخارستيا حيث كان الجميع يتناولون جسد الربّ ودمه. ثمّ نما عدد المسيحيين باطرادٍ ولم يعد بمقدور الرسل أن يتواجدوا بالجسد في كلّ مكان، فساموا أساقفةً وكهنةً للاحتفال بالإفخارستيا. في السنوات الأولى لكنيسة المسيح، وحدهم الأساقفة كانوا يقيمون الإفخارستيا، وكان الكهنة مساعدين لهم. ومع الوقت، أعطى الأساقفة بركتهم للكهنة ليحتفلوا بالسرّ؛ وحتى الآن، لا يحقّ لأيّ كاهن أن يقيم الإفخارستيا أو أيّ طقسٍ مقدّسٍ من دون بركة

الأسقف. كما ترون، إنّ التسلسل الرسوليّ المباشر للأساقفة الأرثوذكسيّين هو أحد الجوانب الأساسيّة في الكنيسة الحقيقيّة.

كتب الشهيد في رؤساء الكهنة إغناطيوس المتوسّح بالله، في القرن الأوّل ميلاديّ: "فلتُكرّم الإفخارستيّا بوصفها حقيقيّة إذا كان من يُقيمها أساقفةً مرسومين قانونيًّا، أي خلفاء الرسل" (راجع الرسالة إلى أهل سميرنا (8)).

وقد أدركت الكنيسة سريعًا الحاجة إلى أن تذكر اسم الأسقف المرسوم قانونيًّا خلال خدم الصلاة، وحُفِظَ هذا التقليد حتّى يومنا.

إذًا، التسلسل الرسوليّ مهمٌّ جدًّا، وقد حفظته الكنيسة بعنايةٍ فائقةٍ حتّى يومنا هذا. كيف؟ من خلال مراعاةٍ قانونيّةٍ السيامات. وحده الأسقف القانونيّ يمكنه سيامة كهنةٍ وشمامسة. وهو نفسه ينال سيامته من ثلاثة أساقفةٍ على الأقلّ، والذين بدورهم لديهم تسلسلٌ قانونيّ يعود إلى الرسل. إنّ الأسقف المرسوم قانونيًّا يشغل مكان المسيح في الكنيسة؛ إنّه صورةٌ للمخلّص، بغضّ النظر عن شخصيّته وسلوكه (قد يكون خاطئًا أو ملعونًا، أو قد يذهب إلى الجحيم بعد الموت – هذا شأنه الشخصيّ). إنّ مكان الأسقف هو في الهيكل، خلف مائدة الهيكل. وعندما يقف هناك، يتّجه وجهه نحو الكنيسة؛ وكأنّه يُشرفُ على المسيحيّين جميعًا. ولهذا السبب يُسمّى أسقفًا، بوصفه مُشرفًا على كامل الكنيسة.

وُجِدَ العديد من الأساقفة والكهنة الكذبة في كلّ عصرٍ على سبيل المثال، يمكنكم أن تجدوا هنا في قبرص أناسًا يلبسون الجبّة ويدّعون أنّهم كهنة، مع أنّهم ليسوا مرسومين. يقومون بذلك لأنّهم واقعون في حالة ضلالٍ روحيّ أو مصابون بمرضٍ عقليّ أو هم مجرد محتالين. وثمة أشخاصٌ يبدون في المظهر الخارجيّ مثل الكهنة الأرثوذكسيّين، لكنّهم في الواقع منشقّون. من هم المنشقّون؟ هم أناسٌ قد انفصلوا عن الكنيسة القانونيّة بسبب قضايا متنوّعة تخصّ نظام الكنيسة أو الطقوس أو التمييز. فالكهنة المنشقّون ليسوا كهنةً قانونيين، والأسرار التي يُقيمونها باطلة. وثمة هراطقة، مثل الكاثوليك والبروتستانت، الذين انفصلوا تمامًا عن الكنيسة الأرثوذكسيّة وأسسوا "كنائسهم" الخاصّة، بتسلسلٍ كهنوتيّ خاصّ بهم، وأساقفة وكهنة.

قد سمعتم على الأرجح عن الملكانيّة والملكيّين. عندما جاء المتروبوليت خريستوفورس¹، رأس الكنيسة الأرثوذكسيّة في الأراضي التشيكيّة وسلوفاكيا، إلى أبرشيّتنا منذ وقتٍ ليس ببعيد، قال في كلمته إنّ الملكانيّة مشكلةٌ كبيرةٌ في الكنيسة التشيكيّة. لماذا؟ لأنّ آلاف الناس في جمهوريّة التشيك وسلوفاكيا يذهبون إلى كنائس لا تختلف معماريّاً عن الكنائس الأرثوذكسيّة؛ وهناك، يرون كهنةً يرتدون الثياب الكهنوتيّة نفسها التي يرتديها الإكليريكيّون الأرثوذكس، ويحتفلون بالقدّاس الإلهيّ تمامًا كما يفعل الكهنة الأرثوذكس، مُتبعين الكتب الليتورجية عينها. ثمّة فرقٌ وحيدٌ بين خدَم الملكيّين والأرثوذكس. ما هو؟ الكهنة الملكيّون يذكرون بابا روما في الخدم. هذا هو الفرق الوحيد ولا شيء آخر. فيقع المسيحيّون الأرثوذكسيّون في الفخّ من دون أن يدركوا ذلك. يخدم الكاثوليكيّون المؤمنين مصوّرين الأمر كما لو أنّها كنيسة أرثوذكسيّة، في حين أن هذه الكنيسة هي في الواقع كاثوليكيّة وغير أرثوذكسيّة.

هنا في ليماسول، مثلاً، ثمّة منشقّون يتبعون التقويم القديم. يدعو واحدٌ منهم نفسه أسقف مدينتنا [ليماسول]. إذا ما ذهبتم إلى قداسهم وجدتم أنّه مطابقٌ لقدّاسنا. ولكنّ جماعة التقويم القديم لا يذكرون أسقفًا قانونيًّا، بل أسقفهم.

يقول أتباع التقويم القديم عندنا: "إنّنا نقوم بكلّ شيء بالشكل الصحيح. وفي كنيسة أورشليم وفي الجبل المقدّس وفي روسيا يخدمون مثلنا، متّبعين التقويم القديم". ويخدعون الناس بهذه الأقوال، فهذا الكلام عارٍ من الصحّة. لماذا؟ لأنّه إذا ما ذهب أتباع التقويم القديم إلى أورشليم، فلن يُناولهم أحدٌ هناك، ولا يمكنهم الاحتفال بالقدّاس الإلهي مع أحد. لا يقبل بطريرك أورشليم بإشراك أتباع التقويم القديم في المناولة. وعلى نحوٍ مماثل، لا يقبل أيّ من المطارنة والكهنة في كنيسة أورشليم بأتباع التقويم القديم في الشركة. وفي الوقت عينه، طبعًا، إنّ كنيسة قبرص وأورشليم القانونيّتان هما في شركة. فعندما نحتفل بالقدّاس الإلهيّ، نذكر ثيوفيلوس بطريرك أورشليم. وهو، عندما يخدم، يذكر رئيس أساقفة الكنيسة القبرصيّة. إذا، نحن كنيسةٌ واحدة. يمكنكم أن تسألوا أحد أتباع التقويم القديم: "أتؤمن بالنور المقدّس [في السبت العظيم المقدّس]؟"، سيُجيبكم: "نعم بالطبع". وإذا سألتموه: "أيمكن أن ينحدر النور المقدّس بصلوات الهراطقة؟"، سيُجيب

¹ خدم المطران خريستوفورس بين عامي 2006 و2013.

بكلّا². إذًا، بما أنّ هذا النور لا ينحدر بصلوات الهراطقة، فهذا يعني أنّ البطريرك ثيوفيلوس أرثوذكسيّ. وإذا كان أرثوذكسيًّا، فهذا يعني أنّنا، نحن الذين في شركة معه ونذكره ويذكرهم، أعضاءً جميعنا في الجسد الواحد الذي للكنيسة الأرثوذكسيّة. هذا يعني أنّ كلّ من ليس في شركة مع البطريرك ثيوفيلوس، ولا يشترك معه في الخدمة ولا يذكره، ولا يذكره البطريرك، هو خارج الكنيسة الأرثوذكسيّة.

في نهاية الأمر، لكي تكون مسيحيًّا أرثوذكسيًّا، لا يكفي أن تؤمن بما تُعلّمه الكنيسة. يجب أن تكون عضوًا في الكنيسة من خلال المعموديّة المقدّسة والاشترك في الأسرار المقدّسة الأخرى، وبخاصّةٍ سرّ المناولة المقدّسة. قد تؤمن بتعاليم الكنيسة الأرثوذكسيّة كلّها من دون أن تنحرف عنها قيد أنملة، ومع ذلك لا تكون أرثوذكسيًّا. وأتباع التقويم القديم هم مثلٌ عن ذلك. فهم يؤمنون بما يؤمن به، لكنهم يظلّون خارج الكنيسة لأنهم فصلوا أنفسهم عنها وعن أساقفتها القانونيين. إنهم منشقّون.

ثمّة سببٌ آخر لذكر اسم الأسقف خلال القدّاس الإلهي. ما هو؟

إنّ الأسقف هو أبّ الكنيسة التي عهدت إليه بهذه الخدمة. وكراعٍ صالحٍ، يتقدّم قطيعه، والمؤمنون يتبعونه. يصغون إليه ويقومون بما يطلبه منهم. يشكّل عددٌ من الأساقفة مجمعًا محليًّا، والذي بدوره يمكن أن يدعو إلى عقد مجمعٍ لكامل الكنيسة الأرثوذكسيّة، ونحن، أعضاء الكنيسة، نقبل قرارات المجمع. يجب أن نُصلي لأساقفتنا كي يبرهم الله لكي يقطعوا باستقامةٍ كلمة الحقّ (2 تيموثاوس 2: 15).

أقول لكم من خبرتي الشخصية: إنّ الخدمة الأسقفية صليبيّ عظيم، غالبًا غير معلومٍ تمامًا للعالم. لا يمكنكم أن تتخيّلوا كم من المصاعب على المرء أن يواجه كلّ يوم! افتراءاتٌ وتجاربٌ وأحزانٌ وآلام، منها ما يراه الجميع، ومنها ما هو مخفيٌّ عن أعين الآخرين ولا يمكن إخبار أحدٍ به...

² إن هذه الحقيقة مؤكّدة بواسطة أعجوبة. مرة في السبت العظيم، لم يسمح الأرمن للأرثوذكسيين بالدخول إلى كنيسة قيامة المسيح، ودخل الكاثوليكوس الأرمني إلى القبر المقدس ليقبّل النور المقدّس. ولكنّ النور لم ينحدر على القبر المقدس حيث كان الكاثوليكوس يصلّي، بل خرجت النار من عمودٍ موجود عند مدخل الكنيسة حيث كان البطريرك الأرثوذكسي واقفًا، وتركت صدعًا كبيرًا في العمود باقيا إلى يومنا هذا.

يُعلّم بولس الرسول المسيحيين أن يطيعوا قادتهم، أي الأساقفة والكهنة، وألا يضعوا أحجار عثرة أمامهم. من خبرتي الشخصية الضئيلة، أقول إنني خلال 13 سنة من خدمتي الأسقفية، قد واجهتُ أشدَّ الصعوبات من الناس الذين يذهبون إلى الكنيسة، لا من أولئك الذين لا يذهبون إليها البتّة. أحياناً يكون أولئك الذين في الكنيسة أسوأ من أولئك الذين خارجها، فهم يُصرون على أنّهم محقّون، ولا يريدون أن يستمعوا إلى ما تقوله لهم ويفهموه، بل يهدّدون ويصرخون ويتصرفون بطريقة تُخالف الإنجيل تماماً.

وبالطبع، نعاني الكثير من المحن التي يسببها أيضاً أولئك الذين لا يأتون إلى الكنيسة. لقد شتمونا وبصقوا علينا، وما زالوا يفعلون ذلك إلى هذا اليوم. تذكروا القديس لوقا رئيس أساقفة القرم، قرأتم كلكم سيرة حياته. لا تزال تصدر كتب عن الشهداء الجدد، من أساقفة وكهنة وشمامسة وراهبان وراهبات وعلمانيين، تألموا من أجل الإيمان بالمسيح في البلدان التي كان نظام الحكم فيها ملحدًا. عندما تقرؤون هذه الكتب، ترون آية عذابات تحمّل هؤلاء جميعًا. ولم يحصل ذلك منذ زمن بعيدٍ مثلما يفترض بعضهم، بل منذ عشرين أو خمسة وعشرين عامًا فقط، أي عملياً في زمننا. مثلاً، في ألبانيا، دُفِنَ أسقفٌ حيًّا.

وكم من التعذيبات عانى الشهيد في رؤساء الكهنة خريسوستوموس³ الذي من سميرنا! فقؤوا عينيه، وقطعوا يديه، وقصّوا لسانه، وجروّه في شوارع المدينة، ومزّقه إربًا. وتألم الكثير من الأساقفة بطريقةٍ مشابهة. لا يعلم أحدٌ متى قد يحصل هذا مجددًا.

ثمّة أناسٌ يكرهون الأساقفة والكهنة وسائر الإكليركيين كرهاً شديداً، لا لأنّ لديهم شيئاً محدداً ضدّهم، مُطلقاً، بل فقط لأنّ الأسقف يمثل في شخصه المسيح والكنيسة.

هاكم أمراً حدثَ معي عندما كنتُ أدرس في تسالونيكي. في أحد الأيام، كنتُ عائداً من الجامعة إلى البيت، وكنتُ أرتدي جبّتي. سارت خلفي امرأةٌ وأخذت تشتمني وتلعنني بكلّ طريقةٍ ممكنة. كان هناك الكثير من الناس في الطريق، وهي كانت تتبعني عن قرب وهي تشتم وتشتم وتشتم... أسرعْتُ في السير، لكنّها أسرعت

³ قُتل الشهيد في رؤساء الكهنة خريسوستوموس بوحشية على يد الأتراك في سميرنا (إزمير) في 27 آب 1922، خلال الحرب في آسيا الصغرى، عندما ذبح الأتراك اليونانيين الأرثوذكس من سكّان المدينة. عندما دخلت الكتابات التركية سميرنا، عرض البريطانيون والفرنسيون على المتروبوليت اللجوء في سفاراتهم، لكنّه رفض إذ لم يُرد أن يترك رعيّته.

بدورها من دون أية نية في التراجع. في البداية، لم أفهم من كانت تُقرِّع. أنا؟ ولكن من أين تعرفني؟ ربّما كانت تتحدّث مع نفسها؟ انحرفت فجأةً ودخلت في شارع صغير؛ وانعطفت هي أيضًا. انعطفت أنا مجددًا، وانعطفت هي أيضًا. يا ربّ ارحم! ماذا عليّ أن أفعل؟ مررت بجوار واجهة محلّ لبيع الكتب، فقررت التوقّف، فتوقّفت هي أيضًا ووقفت إلى جانبي. قالت:

كنتُ أشتمك. أسمعت ذلك؟

نعم

أسمعت كلّ شيء؟

نعم، كلّ شيء. شكرًا.

جيد!

قالت ذلك بإحساسٍ بالرضى، واستدارت وانصرفت. لم تكن تعرفني حتّى. رأيت إكليريكياً يلبس الجبّة، فأثار ذلك الكراهية في داخلها. يمكنني أن أقصّ عليكم الكثير من القصص المشابهة الأخرى...

دعونا نتعاطف مع أولئك الذين يحملون صليب الكهنوت. كم من الصّعوبات يجب أن يتغلّب عليها الكهنة المتزوّجون! كم من الصّعوبات يواجه أبناؤهم! قد يُغيظونهم في المدرسة قائلين: "أبوك كاهن! أنت ابن كاهن! أنت ابنة كاهن!". يمكن أن تكتب الصّحف شتى أنواع المقالات السخيفة ذات العناوين الجذّابة، مثل: "ابنة كاهنٍ تضرب جارًا!"، بينما قد يكون الأمر في الواقع أنّ الجيران قد تشاجروا - وكم من الجيران يتشاجرون كلّ يوم؟ أو: "كلب كاهنٍ يعضُّ أحد المارّة!"، "قطة كاهن..."، "فأر كاهن...". أيّا يكن ما تفعله [ككاهن]، فإنّك ستكون هدفًا لكلّ أنواع الهجوم.

ومع ذلك، فإنّ مواجهة صعوبات كهذه من أناسٍ من خارج الكنيسة هو أمرٌ مختلف؛ يمكن للمرء أن يتعرّى إذ يقول لنفسه إنّ الناس يتصرّفون هكذا لأنّهم لا يعرفون الله. ولكن، عندما تبرز المشكلات في حضن الكنيسة، ويُسببها أشخاص من الكنيسة، فإنّ ذلك أصعب بكثير.

يسعى الأساقفة كلهم لخير الكنيسة ولخير الذين حولهم. ومن دون شك، يقوم كلُّ الأساقفة بعملٍ عظيمٍ لا نعرف عنه شيئاً. وبما أننا لا نعرف شيئاً، دعونا لا ندين أحداً، بل نصلي من أجل من أخذوا على عاتقهم هذا العمل العظيم طوعاً، وكرسوا طوعاً أنفسهم للكنيسة.

جميعنا، نحن بقيّة أعضاء الكنيسة، نريد آباءً روحيين صالحين وكهنةً صالحين وواعظين صالحين. لم نختر أن نحمل، نحن أنفسنا، صليب الكهنوت، أو أن يحمله أولادنا أو أحفادنا، بل نفكر هكذا: "فليقم بذلك أحدٌ آخر، لكن أعطونا كهنةً وأساقفةً صالحين!". ولكن هؤلاء [الكهنة والأساقفة الصالحين] لا يهبطون من السماء، بل يولدون ضمن عائلاتٍ ومن والدين. بالطبع، لا يمكن لنا جميعاً أن نفعل الأمر عينه، فلدينا تطلّعاتٌ مختلفةٌ وفرصٌ غير متكافئة. ولكن دعونا نصلي بعضنا من أجل بعض؛ ودعونا، على الأقل، لا نضع العراقيل في طريق أولئك الذين أخذوا على عاتقهم صليب الأسقفية. دعونا لا ندقق أخطاءهم.

الأساقفة بشرٌ هم أيضاً، ومن دون شك، يرتكبون الكثير من الأخطاء. أخبرتكم مراراً وتكراراً كم أتضايق حين يعتبرني الناس معصوماً ولا أرتكب أية أخطاء أو أغلاط. من أنا؟ كائنٌ فضائي؟ بالطبع لديّ أخطائي وخطاياي وأهوائي. ويحاربي الشيطان مثلما يحارب الآخرين. إنه لضلالٌ كبيرٌ أن يُعرب أحدهم قائلاً: "إنني لا أتعرض للتجارب. وليست لديّ أخطاء. وأنا لا أخطئ". من الذي يرتكب أكثر الأخطاء؟ أولئك الذين يقولون إنهم لا يخطئون.

لذا، دعونا، أولاً، لا نضع العوائق والعثرات لإكليريكينا؛ وثانياً، فلنساعدهم بصلواتنا. فلنصل من أجل أساقفتنا وكهنتنا وشمامستنا وأولئك الذين يخدمون في الكنيسة. إنهم بحاجةٌ ماسّةٍ إلى صلوات إخوتهم، لذا يوصينا المسيح بأن نصلي لأولئك الذين يعملون في الحصاد. إذا كنت أنت نفسك لا تستطيع أن تحرث أو تذر أو تحصد الحقل، فعلى الأقل لا ترم الحجارة داخل الحقل، بل صل من أجل هؤلاء "الغريبي الأطوار" الخمسة أو العشرة الذين يعملون في هذا الحقل، وساعدتهم بصلواتك. كان بإمكاننا [نحن الأساقفة] أن نتزوج ونؤسس عائلاتٍ؛ كان بإمكاننا أن نبلس البدلات الرسمية، ونقود السيارات، ونتمشى على الشاطئ بعد العشاء، أو نذهب إلى منازل ريفية لقضاء عطلة نهاية الأسبوع... ولكننا كرسنا أنفسنا طوعاً للكنيسة حباً بالمسيح.

عندما تقع تجاربٌ وافتراءاتٌ في الكنيسة، عندما يرتكب الأسقف أخطاءً، عندما يمرّ بتجاربٍ أو صعوباتٍ، فعلينا، نحن المؤمنين، أن نتصرّف كما نفعل عندما تحدث المشكلات في منازلنا وعائلاتنا ومع أولادنا. فنحن لا نفرح عندما تحدث هذه الأمور؛ لا نخرج إلى الشرفة ونتحدّث علناً عن صعوباتنا. على العكس، نحاول أن نستمر مصاعب عائلتنا وألاً نكشف عُري القريين منّا أو نحطّ من قدرهم. فدعونا نستمر، بالطريقة عينها، عيوب الإكليركيين، بمحبّةٍ وطيبة. دعونا نشفيهم بمحبّتنا وصلواتنا.

علينا أن نتصرّف بهذه الطريقة، ليس تجاه الإكليركيين فحسب، بل تجاه الجميع عموماً: دعونا لا نفضح فشل الآخرين ومعاناتهم؛ دعونا لا نشمت ونفرح. فلنقل، مثلاً، إنّ لديكم مشكلةً مع جاركم. عندما تثرثرون عنه مع بقية الجيران، ستزداد التجربة وستسوء الأمور. يصبح جيرانكم أسوأ وتصبحون أنتم أيضاً أسوأ. ما الصواب الذي يجب فعله في موقف كهذا؟ الزموا الصمت وصلّوا للمسيح من أجل جاركم. ولكن ليس بهذه الطريقة: "سامحه يا مسيحي لأنّه سبّب لي الكثير من الأذى. إنّني حمامة بريئة وحملٌ لطيف، أمّا هو فنمّرٌ يلهمني... ومع ذلك، اغفر له يا مسيحي". ليست هذه هي الصلاة التي أقصدها بالطبع.

إنّ الصلاة في الشدائد التي تُصيبنا تليّن تجاربنا، وتثيرنا، وتفعل كالبلسم، كالزيت الذي يُطري جراحنا. في حين أنّ الإدانة والشماتة والنميمة تجعل الوضع أسوأ وتجعلنا أدوات للشيطان: نحن ندين وأحبّأونا يتألّمون. وهل تعلمون ما هو المخيف أكثر؟ أنّه يمكن، في كثيرٍ من الأحيان، أن ندين أناساً قديسين وبريين. في الإنجيل، لا يسمح لنا المسيح بإدانة أحد. لذلك، دعونا نعامل جميع من حولنا بالمحبّة والنيّة الصالحة، وبخاصّة أولئك الذين حملوا طوعاً صليب المسيح، صليب الخدمة الأسقفية أو الكهنوتية. فلنصلّ من أجلهم دوماً.

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

Source: Metropolitan Athanasios of Limassol (2022). "Pray for the Bishop! Fifth Talk on the Divine Liturgy", [OrthoChristian](https://www.OrthoChristian.org).